Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشافعى خدمه أيضًا التصاقه بواحدة من أقطاب آل بيت الرسول فى مصر. وأقصد بها سيدتنا نفيسه، رضى الله عنها. فقد كان أهل مصر يلتفون حولها كالتفاف الفراش حول الضوء، وكانت هى بالإضافة إلى شريف نسبها عالمة متبحرة متصوفة. نبعًا فياضًا للإيمان القوى الصادق، ومرجعا خصبًا وثريًّا للفتوى.

لقد كان الإمام الشافعى يتردد على سيدتنا نفيسة بصفة دورية، ويستمع إليها ويصلى بها التراويح فى شهر رمضان. بل إنه - وكما ذكرنا - كان إذا مرض يرسل لها أحد تلاميذه بالسلام ويطلب دعاءها له بالشفاء.

وحين توفى الشافعى يوم الخميس من رجب سنة ٢٠٤ هـ. مروا بجسده على بيت السيدة نفيسة، بناء على طلبها لضعفها عن الحركة من كثرة التهجد والعبادة. وقد صلت السيدة نفيسة، على الشافعى، مأمومة بتلميذه أبى يعقوب البويطى. وبعد الصلاة سمع من يقول: «إن الله غفر لمن صلى على الشافعى بالشافعى، وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه».

وقد قيل إن السيدة نفيسة، حين سمعت بوفاة الشافعى قالت قولتها المشهورة فى الكتب : «رحمه الله، كان رجلا يحسن الوضوء». وهذه شهادة عظيمة، لأن الوضوء أساس العبادة. وإذا كان الأساس حسنًا، فكل ما يبنى عليه هو حسن، فكأنها شهدت بأن الشافعى كان حسن الاجتهاد، صادقه، وأن فقه الشافعى كان جديدًا نافعًا. وهذه شهادة يعتز بها من عالمة متصوفة، وجوهرة من كنوز آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مصر.

* * *

الشافعى رضى الله عنه كان سوّاحًا. كان سندباد علم ومعرفة - إن صح هذا التعبير - منذ عامه الثانى. ولمدة ٤٨ عامًا. بعد ذلك ظل الشافعى لا يهدأ له قرار، سائحًا فى سبيل العلم، ولم يستقر سوى سنوات أربع ونصف قضاها فى مصر.

ورحلة الشافعى، كانت رحلة مثيرة حقًّا. كلها من أجل تحصيل العلم والمعرفة.